تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية

Representations of the Social Order in Japanese Painting during the Muromachi Period

زهراء احمد محمد العمار

Zahra Ahmed Mohammed Al-Ammar

fin803.zahraa.ahmed@student.uobabylon.edu.iq

أ.د. محمد علي علوان

Prof. Dr. Mohammed Ali Alwan

fine.mohammed.ali@uobabylon.edu.iq

العراق / جامعة بابل/ كلية الفنون الجميلة /قسم الفنون التشكيلية /الرسم

Iraq/ University of Babylon/ college of Fine Arts/Department of Fine Arts

ملخص البحث

يعنى هذا البحث بدراسة **تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية (1185–1603م)** وهو يقع في أربعة فصول. الأول لبيان مشكلة البحث، وأهميته، والحاجة إليه، ويهدف البحث إلى:تعرف تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية. وحدود البحث التي تشمل الحدود الموضوعية: وهي تمثلات النسق الاجتماعي في الرسم الياباني خلال حقبة موروماتشي، والحدود الزمانية:**(1338–1573م)**والحدود المكانية في اليابان. وتحديد أهم المصطلحات الواردة فيه، وقد انطوت مشكلة البحث الحالي من خلال استكشاف النسق الاجتماعي في الرسم الياباني في عصر موروماتشي، وفي ضوء ذلك صاغت الباحثة المشكلة من خلال السؤال الآتي: ما هي تمثلات النسق الاجتماعي في الرسم الياباني خلال حقبة موروماتشي؟ **ولقد** اشتمل الفصل الثاني

الإطار النظري على ثلاثة مباحث وكذلك استخراج مؤشرات الإطار النظري للإفادة منها في تحليل العينات. حيث عنى المبحث الأول مفهوم النسق الاجتماعي في الدراسات الثقافية. فيما تناول المبحث الثاني السياق الاجتماعي والثقافي لحقبة موروماتشي. بينما درس المبحث الثالث مدارس الرسم الياباني في العصر الوسيط. وتناول الفصل الثالث (الإجراءات) مجتمع البحث، وعينة البحث البالغة (3) نماذج، وأداة البحث ومنهجية البحث وتحليل العينات. وقد تَضمَن الفصل الرابع نتائج البحث، والاستنتاجات، والتوصيات، والمقترحات. ومن جملة النتائج التي توصلت إليها الباحثة هي:

1. يظهر تمثل النسق الاجتماعي في الرسم الياباني لحقبة موروماتشي من خلال النمذجة الحيوانية التي تعكس انقسام المجتمع إلى طبقة مفكرة (تجلس بوقار وتكتب) وطبقة خادمة (تتحرك وتطبخ)، مما يؤكد رسوخ مفهوم الطبقية في الوعي الجمعي.
2. يتجلى النسق الاجتماعي في (التكامل) وليس الانفصال فقط؛ حيث تجتمع النخبة الدينية والسياسية مع العامة في فضاء واحد لتحقيق إنجاز عمراني، مما يمثل تماسك البنية الاجتماعية خلف الأهداف الكبرى.

الكلمات المفتاحية: النسق الاجتماعي، البوذية، الشوغون، الرسم الياباني.

Abstract

This research is concerned with studying the representations of the social system in the drawings of the Japanese Muromachi period (1185-1603 AD), and it is divided into four chapters. The first chapter presents the research problem, its importance, and the need for it. The research aims to: identify the representations of the social system in the drawings of the Japanese Muromachi period. The research limits include the objective limits: which are the representations of the social system in Japanese painting during the Muromachi era; the temporal limits: (1338-1573 AD);

and the spatial limits: Japan. It also defines the most important terms mentioned therein. The current research problem was involved through exploring the social system in Japanese painting in the Muromachi era, and in light of this, the researcher formulated the problem through the following question: What are the representations of the social system in Japanese painting during the Muromachi era?

The second chapter, the theoretical framework, included three sections as well as extracting indicators of the theoretical framework to benefit from them in analyzing the samples. The first section dealt with the concept of the social system in cultural studies. The second section dealt with the social and cultural context of the Muromachi era. While the third section studied the schools of Japanese painting in the Middle Ages. The third chapter (Procedures) dealt with the research community, the research sample amounting to (3) models, the research tool, the research methodology, and the analysis of samples. The fourth chapter included the research results, conclusions, recommendations, and suggestions. Among the results reached by the researcher are:

1. The representation of the social system in Japanese painting of the Muromachi era appears through animal modeling that reflects the division of society into a thinking class (sitting with dignity and writing) and a servant class (moving and cooking), which confirms the deep-rootedness of the concept of class in the collective consciousness.
2. The social system is manifested in (integration) and not just separation; where the religious and political elite meet with the general public in one space to achieve an urban achievement, which represents the cohesion of the social structure behind the major goals.

Keywords: Social System, Buddhism, Shogun, Japanese Painting.

الفصل الأول: (الإطار المنهجي للبحث)

أولاً: مشكلة البحث:

تُعد حقبة موروماتشي (1338–1573) من أهم المراحل التحولية في التاريخ الياباني، لما شهدته من تغيّرات سياسية واجتماعية عميقة انعكست في مختلف مجالات الثقافة والفن. فقد أفرزت شوغونية أشيكاغا نظامًا سلطويًا جديدًا، وعملت مؤسسات البلاط والمعابد على ترسيخ قيم طبقية وفكرية محددة، وهو ما أسهم في تشكيل نمط حياة وسلوكيات اجتماعية متمايزة. وفي هذا الإطار، جاءت الرسوم كمرآة تعكس هذه البنى، سواء من خلال تصوير طبقات الساموراي والحكام أو الحياة اليومية للطبقات الدنيا، أو من خلال دمج عناصر فلسفة الزِن التي أسهمت في إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والطبيعة والسلطة. ومن هنا ينبع الاهتمام بدراسة الرسوم في حقبة موروماتشي، ليس بوصفها مجرد إنتاج جمالي، بل كنصوص بصرية تكشف عن تمثلات النسق الاجتماعي وتجليات السلطة والهيمنة في اليابان الوسيطة.

وتتمحور مشكلة هذا البحث حول الكيفية التي جرى بها تمثيل النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية، في ظل التحولات السياسية والفكرية العميقة التي شهدها المجتمع الياباني آنذاك. فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت فنون موروماتشي من زاوية أسلوبية أو دينية، ولا سيما ارتباطها بفكر الزِن والرسم الحِبري، إلا أن البعد الاجتماعي غالبًا ما عولج بوصفه سياقًا عامًا لا بنية فاعلة داخل الخطاب البصري نفسه. من هنا تبرز إشكالية البحث في الكشف عن مدى وعي الفنان المورماتشي بالبنى الطبقية للمجتمع، وكيف انعكست هذه البنى في التكوين، والموضوع، وآليات الإقصاء والحضور داخل الصورة. وعلية تتمركز مشكلة البحث حول سؤال: ما هي تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية؟

ثانياً : أهمية البحث والحاجة إليه:

1. تكمن أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية، موضحًا تنوع الطبقات الاجتماعية في تلك الحقبة وانعكاسها على الرسم.
2. كما يبرز إبداع الرسامين في ترجمة الموضوعات الاجتماعية المعقدة بصريًا.
3. يفيد هذا البحث كونه مرجعًا أكاديميًا يوثق هذا المجال لخدمة الباحثين والفنانين وطلبة الدراسات العليا.

ثالثاً: هدف البحث:تعرف تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية.

رابعاً: حدود البحث

- **الحدود الموضوعية:**تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية من خلال رسوم الحبر، اللفائف المصورة، رسوم المعابد المستخدمة في الرسوم.
- **الحدود الزمانية:(1338-1573م).**
- **الحدود المكانية:** اليابان.

خامساً: تحديد المصطلحات وتعريفها:

1. النسق لغة:

- نسق الكلام رتبه وعطف بعضه على بعض على نظم واحد، نسق الشيء نظمه. النسق إذن هو الترتيب المنتظم بين الأشياء (البستاني ،2009، ص ١١٦-١١٥) .
- وجاء في لسان العرب لابن منظور: والنسق من الكلام ما انتظم بعضه في أثر بعض على نسق واحد، والنسق: ما يدل على تتابع في الشيء، (ابن

منظور ،2003، ص165) وفي القاموس المحيط: " نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد، (الفيروزأبادي ،2005، ص285) أما ابن فارس فيقول: "النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض وأصله قولهم: ثغر نسق، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية). فالمعنى اللغوي يفيد وجود ترتيب منظم ومنسجم بين عناصر مترابطة، لا تفهم إلا في إطار تكاملها وتواليها (ابن فارس ،1999، ص420).

2- **النسق الاجتماعي اصطلاحاً (Discourse):**

- تعددت تعريفات النسق باختلاف الحقول المعرفية، فهو يشير في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى مجموعة من الأدوار والعلاقات والقيم والمعايير الاجتماعية التي تنتظم سلوك الأفراد داخل المجتمع، وتشكل بنية المجتمع وتحقق تماسكه واستقراره (ليلة ،2015، ص15).
- وينظر إلى النسق بوصفه وحدة تحليل كبرى، تتكون من عناصر مترابطة وظيفيا، بحيث يؤدي كل جزء وظيفة محددة تساهم في تحقيق التوازن والاستمرار للنظام الاجتماعي ككل.
- وقد عرف تالكوتبارسونز **(TALCOTT PARSONS)**، أحد أبرز رواد النظرية البنائية الوظيفية، النسق الاجتماعي بأنه نظام من الفاعلين يتفاعلون في إطار موقف اجتماعي تنظمه مجموعة من المعايير والقيم المشتركة. وعلى ضوء هذا التعريف، يتبين أن النسق ليس مجرد إطار ثابت، بل هو كيان ديناميكي يخضع للتغير والتحول، ويتفاعل مع مختلف المتغيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية (ليلة ،2014، ص 27).
- ويمثل النسق الاجتماعي في الرسم البنية العميقة التي تنتظم فيها العلاقات بين الجنسين، أو بين الطبقات الاجتماعية، أو بين المركز والهامش، كما تبرز

التفاوتات الاقتصادية، وأنماط التنشئة، وتصورات الموت والحياة، والرموز الدينية والممارسات اليومية.

3- حقبة (موروماتشي) (1338 – 1573):

بدأت حقبة (موروماتشي) أو كما تعرف باسم حقبة أشيكاغا التاريخية في عام(1338) وذلك حين استعاد الإمبراطور (غودايجو) السلطة الإمبراطورية والإطاحة بحكومة (كاماكورا‌باكوفو) وتبدأ بعدها حقبة (موروماتشي) التي استمرت نحو(240) عام وبدأ حكومته المنفصلة في منطقة (موروماتشي) في كيوتو، ومن هنا جاء اسم هذه الحقبة .وتشتهر فترة (موروماتشي) بالنشاطات الاجتماعية المختلفة من المهرجانات وحفل الشاي ومسرح النو ، وكذلك بانتشار بوذية الزن في اليابان، والتي كان لها تأثير كبير على الثقافة والفن الياباني حيث انتهت في عام(1573) (Sudipta Das,2020,p340).

النسق الاجتماعي في الرسم الياباني خلال حقبة موروماتشي اجرائيا:

استخدام الرموز، والأيقونات، والأساليب البصرية لنقل مفاهيم أو معتقدات اجتماعية محددة، بحيث يمكن ملاحظتها وتحليلها من خلال عناصر التكوين الفني ومحتواه،في الرسم الياباني خلال حقبة موروماتشي**(1338-1573م)**.

الفصل الثاني (الإطار النظري للبحث)

1. المبحث الأول: مفهوم النسق الاجتماعي في الدراسات الثقافية.

يُعدّ مفهوم النسق الاجتماعي من المفاهيم المركزية في علم الاجتماع، لما ينطوي عليه من قدرة تفسيرية لفهم انتظام المجتمع، واستمرار بنيته، وآليات إنتاج المعنى داخله. غير أن هذا المفهوم لم يبقَ ثابتًا في دلالته، بل شهد تحولات جوهرية مع تطور الحقول المعرفية، ولا سيما مع بروز علم الاجتماع الثقافي الذي أعاد تعريف النسق بوصفه منظومة رمزية، لا مجرد بنية تنظيمية.وعليه يسعى هذا المبحث إلى تتبع

التحول المفاهيمي للنسق الاجتماعي من المقاربات الوظيفية الكلاسيكية إلى القراءة الثقافية التأويلية، مع إبراز أهمية هذا التحول في تحليل التمثلات البصرية والفنية.

ففي الطروحات السوسيولوجية المبكرة، ارتبط مفهوم النسق الاجتماعي بفكرة الانتظام والتوازن .ويُعد (تالكوتبارسونز) من أبرز من نظّر لهذا المفهوم، إذ عرّف النسق الاجتماعي بوصفه شبكة من الأدوار والمؤسسات التي تعمل معًا لضمان استقرار المجتمع واستمراريته. وفق هذا التصور، يؤدي كل عنصر وظيفة محددة داخل النسق، ويُقاس نجاح المجتمع بقدرته على تحقيق التوازن بين مكوناته المختلفة (Parsons, 1951,pp.24-36).

مع النصف الثاني من القرن العشرين، شهد علم الاجتماع ما يُعرف بالمنعطف الثقافي، حيث انتقل الاهتمام من البنية إلى المعنى، ومن الوظيفة إلى الرمز .في هذا السياق، أعيد تعريف النسق الاجتماعي بوصفه نظامًا ثقافيًا رمزيًا يُنتج الدلالة، لا مجرد إطار ينظم الأفعال. حيث يشير (كليفوردغيرتز) إلى أن المجتمع شبكة من المعاني التي ينسجها الإنسان ويعيش داخلها، وأن مهمة الباحث ليست تفسير السلوك فقط، بل تأويل الرموز التي تمنحه معنى(Geertz, 1973,pp5-15) وبهذا المعنى، يصبح النسق الاجتماعي نصًا ثقافيًا قابلًا للقراءة، تتداخل فيه الطقوس، الصور، الخطابات، والتمثلات.

ويذهب (جيفري ألكسندر) إلى أبعد من ذلك، حين يؤكد أن الفعل الاجتماعي محكوم ببنى رمزية عميقة، وأن النسق الثقافي هو الذي يحدد ما يُعدّ مشروعًا أو منحرفًا، مقدسًا أو دنيويًا.(Alexander, 2003,pp.11-18) ففي هذه المقاربة، لا تُمارَس السلطة فقط عبر القوانين والمؤسسات، بل عبر التحكم في المعنى والتمثيل.

ويكتسب مفهوم النسق الاجتماعي بعدًا أكثر تعقيدًا عند ربطه بمفهوم السلطة الرمزية كما طوّره (بيير بورديو). فالنسق لا يعمل من خلال القسر المباشر، بل عبر تطبيع

علاقات القوة وجعلها تبدو طبيعية.(Bourdieu, 1991,pp.37-43) ووفق هذا التصور، تُنتج الثقافة نسقًا من التمثلات التي تُعيد إنتاج البنية الاجتماعية دون وعي مباشر من الأفراد. اللغة، الذوق، الصورة، وحتى الصمت، كلها أدوات اشتغال للنسق الاجتماعي .وتبرز الفنون البصرية هنا بوصفها مجالًا حساسًا لعمل النسق، إذ تُحوَّل العلاقات الاجتماعية إلى تكوينات جمالية، وتُعاد صياغة السلطة عبر التوزيع البصري، الحجم، المركز والهامش. فالفن هنا لا يعكس المجتمع، بل يُعيد تشكيله رمزيًا.

ويتيح علم الاجتماع الثقافي نقل مفهوم النسق الاجتماعي من التحليل النظري إلى القراءة البصرية .فالصورة ليست محاكاة للواقع، بل نظامًا تمثيليًا يُعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية وفق منطق جمالي. ويشير (إروينبانوفسكي) إلى أن العمل الفني يحمل محتوى جوهريًا يتجاوز الشكل، ويتمثل في الرؤية الاجتماعية والثقافية للعالم.(Panofsky, 1955,pp.3-14)

وبهذا، يمكن قراءة التكوين، الفراغ، التكرار، والاختزال بوصفها مؤشرات على النسق الاجتماعي .هذا المنظور يفتح المجال لتحليل الفنون التاريخية – ومنها الفنون اليابانية – باعتبارها وثائق ثقافية تكشف البنية الاجتماعية، لا عبر التصريح، بل عبر الإيحاء والتنظيم البصري. إن فهم النسق الاجتماعي بوصفه خطابًا رمزيًا يتيح قراءة العمل الفني كفضاء تفاوض بين السلطة والثقافة، وبين الفرد والجماعة، وهو ما يشكّل مدخلًا نظريًا أساسيًا لدراسة تمثلات النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي.

2. المبحث الثاني: السياق الاجتماعي والثقافي لحقبة موروماتشي.

تُعدّ حقبة موروماتشي من أكثر الفترات تعقيداً وتحولاً في التاريخ الياباني الوسيط، إذ شهدت تداخلاً واضحاً بين التفكك السياسي من جهة، وازدهار ثقافي وفني عميق من جهة أخرى(Sansom, 1961, pp. 45–52) وقد ارتبطت هذه المرحلة بحكم شوغونية آشيكاغا، التي اتسمت بضعف السلطة المركزية مقارنة بالفترات السابقة، الأمر الذي

أتاح نشوء بنى اجتماعية وثقافية جديدة انعكست بوضوح في الفنون والآداب وأنماط العيش (Hall, 1991, pp. 112–118).

قامت شوغونية آشيكاغا عام 1336م بعد صراع طويل مع بقايا سلطة كاماكورا، واتخذت من كيوتو مركزاً سياسياً لها .(Sansom, 1961, pp. 45–52) غير أن هذه الشوغونية لم تتمكن من فرض سيطرة مركزية صارمة، بل اعتمدت على شبكة معقدة من التحالفات مع الحكام المحليين، وهو ما أضعف البنية السياسية للدولة (Hall, 1991, pp. 112–118). هذا الضعف البنيوي في السلطة أدى إلى تصاعد نفوذ الأقاليم وظهور طبقة محلية قوية من المحاربين، ما مهّد لاحقاً لفترة الحروب الأهلية.

وعلى المستوى الاجتماعي، أدّى هذا التفكك إلى إعادة تشكيل الهرم الطبقي. فإلى جانب طبقة الساموراي(المحاربين)، بدأت طبقة التجار والحرفيين في المدن بالنمو، مستفيدة من توسّع النشاط التجاري الداخلي والخارجي، ولا سيما مع الصين (Varley, 2000, pp. 87–94)كما شهد الريف الياباني حركات فلاحية جماعية عبّرت عن توتر اجتماعي ناتج عن الضرائب والحروب وعدم الاستقرار (Hall, 1991, pp. 112–118).

بالتأكيد ان ظهور هذا السياق الثقافي للوجود في حقبة (موروماتشي) لم يتحقق إلا عبر السياق الاجتماعي حيث قيام طبقة المحاربين وإقامة حكومة عسكرية. فقد وجدت طبقة الارستقراطيين الحاكمة التي كانت تستمد قوتها وشرعيتها من قربها من الإمبراطور أن قواعدها الاقتصادية من الدعم أخذت تتحول تدريجا إلى طبقة من المحاربين ظهرت حديثا، نشأت من مزارعين أثرياء وارستقراطيين كانوا قد استقروا في الأقاليم، وأقاموا قواعد متينة من القوة عن طريق الإدارة الزراعية. وقد قام هؤلاء الاخيرون، الذين كانوا يستمدون القوة من روابطهم التي أقاموها مع الشرائح الدنيا من المجتمع في صورة عقود إقطاعية بين السيد والتابع وفي النهاية تم إسقاط الطبقة

التقليدية الحاكمة وأقاموا مجتمعا إقطاعيا جديدا. لقد بدأت فترة (موروماتشي) بتأسيس شوغونية (أشيكاغا) على يد (أشيكاغا تاكوجي). ومع ذلك، على عكس شوغونية (كاماكورا) المركزية، واجهت شوغونية (أشيكاغا) تحديات في توطيد سلطتها. كانت سلطة الشوغونية متنازع عليها في كثير من الأحيان من قبل أمراء محليين أقوياء، الذين كانوا يسيطرون على أراضٍ شاسعة ويقودون جيوشهم الخاصة. أدى هذا المشهد السياسي اللامركزي إلى صراعات متكررة وصراعات على السلطة، بلغت ذروتها في اندلاع حرب أونين المدمرة (1467–1477) (يوتاكا تازوا،1987، ص35).

وازدهرت مدينة كيوتو في حقبة موروماتشي كمركز تجاري قوي في اليابان. وتمكنت الطبقة التجارية الثرية من الاستفادة من مصادر رأس المال التجاري التي تم تطويرها في المدينة. كما أقام الـ(شوغون)أو الحاكم العسكري علاقات وثيقة مع المؤسسات الدينية والأرستقراطية في كيوتو واستخدم الموظفين للتدخل في هذه العلاقات عن طريق فرض الضرائب. بالإضافة إلى ذلك، استخدم الشوغو خدمات التجار في كيوتو والمقاطعات لتنفيذ مشاريع تجارية مع الصين وكوريا. وكان للشوغون كانت القدرة على طلب مساهمات مالية كبيرة من الأثرياء والمرموقين في المجتمع لتغطية تكاليف الاحتفالات الخاصة أو إصلاحها. وكان الشوغو، الذين كانوا رمزًا للثروة والمكانة في مجتمع العاصمة، مطلوبًا منهم بكثرة الدفع بمبالغ كبيرة لتكاليف الاحتفالات وإصلاح القصور والهياكل الدينية. وفي العديد من الحالات، كان (الشوغو) يلبون هذه المتطلبات بكل سلاسة(John W. Hall,1977, p.71) .

كذلك لا يمكن فهم الثقافة الموروماتشية دون التوقف عند الدور المحوري لديانة بوذية الزِنّ في المجتمع الياباني. فقد تبنّت طبقة الساموراي هذا المذهب لما يتسم به من بساطة وانضباط، ولما يوفره من إطار أخلاقي وروحي يتناسب مع حياة المحارب.(Varley, 2000, pp. 87–94)أسهم الزِنّ في إعادة تعريف مفهوم الجمال،

حيث برزت قيم مثل البساطة، والفراغ، وعدم الاكتمال، وهي قيم ستؤثر لاحقاً في مجمل الفنون اليابانية.

وتجلّى هذا التأثير بوضوح في فن الرسم بالحبر،الذي استلهم النماذج الصينية لكنه أعاد صياغتها بروح يابانية متقشفة.(Sansom, 1961, pp. 45–52) كما انعكس في العمارة، ولا سيما في مباني المعابد وغرف الشاي، التي اتسمت بالتقشف والانسجام مع الطبيعة، بوصفها تجسيداً عملياً لفلسفة الزِنّ(Varley, 2000, pp. 87–94) .

2. المبحث الثالث:مدارس الرسم الياباني في العصر الوسيط.

شهد عصر(كاماكورا) السابق لحقبة موروماتشي تنوعاً في السياق الاجتماعي بالرسوم، حيث أصبح الموضوع الديني والاجتماعي شائعين في الفن على اللفافات المصورة، وتزايدت أنواعها. ظهرت طوائف بوذية جديدة تصور تاريخ المعابد أو المزارات أو حياة مؤسس الطائفة كجزء من نشاطها الديني، بينما استخدمت طبقة الساموراي الرسوم لتأكيد روح المحارب. هذا التنوع ساهم في إبراز الطبيعة التفسيرية الملحمية للفافات والطابع الشخصي لبعض الرسومات. من أمثلة الأعمال الباقية عمل ديني بارز مثل رسم حياة الراهب (إيبين شونين أي–دن) (يوتاكا تازوا،1987، ص60)شكل (1).

شكل (1)

وفي فترة موروماتشي (1333–1578)، سيطرت عشيرة أشيكاغا ونقلت الشوغونية إلى كيوتو، ما أعاد الطابع الأرستقراطي للثقافة. برزت بوذية الزن بين نخبة الساموراي، مؤثرة على الانضباط والجمال في الرسم، وحظيت بحماية الحاكم العسكري ورُهبانها شاركوا في الفنون والسياسة (اينياغا سابورو،2016، ص144).

وكان الرسم المميز في هذه الفترة بطيعة الحال هو الرسم الذي يتم بالحبر، والذي شكل جانبا حيويا من خطاب ثقافة الزن. وبينما كان الإغراء العاطفي والألوان هما روح وحياة أسلوب (ياماتو – أى) في فن الرسم، فان أسلوب الرسم باللون الأسود فقط وحده كان تجريديا وموحيا بصورة نموذجية. وكانت الزن تقدر رسم المناظر الطبيعية إلى حد كبير من أجل إمكان الاتصال الروحى بالطبيعة التي تقدمها. وكان الرهبان أنفسهم يمارسون الرسم كهواية روحية، وأصبح بعضهم فنانين محترفين بارعين (يعرفون باسم الرسامين – الكهنة)(يوتاكا تازوا،1987، ص67)شكل (2).

شكل (2)

كذلك ظهرت في العصور الوسطى اليابانية مدرسة اميها (Ami-ha) للرسم وهي إحدى مدارس رسم الزن في عصر (موروماتشي) وهي عائلة الرسام نؤامي (Nōami) (1397–1471) شكل (3) وتشير إلى الأب نؤامي والابن جيامي (Geiami)(1431–1485) شكل (4) وحفيد نؤامي سوامي (Sōami) (1472–1525) شكل (5)، الذين كانوا فناني الرسم بالحبر المعروفين باسم (سا–نامي). وكانوا يتقلدون منصب الـ(دوبوشو) وهو المنصب المسؤول عن الفنون والشؤون المتنوعة للحاكم العسكري (https://en.wikipedia.org/wiki/N%C5%8Dami.

شكل (3) شكل (4) شكل (5)

وفي نفس الاتجاه الخطابي ظهر الراهب والرسام (سيسون شوكي) (1504–1589) حيث كان الرسام الياباني الأكثر تميزًا وموهبة فردية بين العديد من الرسامين الذين عملوا بأسلوب (سيشوتويو)فنان القرن الخامس عشر الذي يعد أعظم الرسامين اليابانيين في تقنية (غسيل الحبر). تم رسم خطابة الديني عبر رسومه بتركيبات جريئة وأشكال فريدة من نوعها، وكانت لوحاته للمناظر الطبيعية آسرة بتصويرها وتركيباتها التفصيلية.حيث نقل إليها تعبيرًا ديناميكيًا من خلال ضربات الفرشاة الجريئة. لا تزال العديد من مناظره الطبيعية موجودة، من بينها الريح والأمواج وثلاث نسخ من المناظر الثمانية. وربما يكون أسلوبه الفريد أكثر وضوحًا في رسوماته الشخصية (على سبيل المثال، المناظر الطبيعية مع الهاوية الصخرية) شكل (6)

شكل (6)

.)http://jmapps.ne.jp/okayamakenbi/index.html(

لا يمكن قراءة النسق الاجتماعي لحقبة موروماتشي بمعزلٍ عن طقوس الشاي (chanoyu)التي تطوّرت من تفاعل تعاليم الزِنّ مع الحياة اليومية، وارتبطت بمنظومة قيمٍ تقدس التواضع والتناغم داخل نسق اجتماعي نشط. هذه الطقوس لم تكن مجرد ممارسات رفاهية، بل شكلت فضاءً اجتماعياً وصراعاً على النمط والذوق بين طبقات الساموراي والتجار والصُناع. والشكل (7) يعيدنا إلى فكرة أن الذوق ليس خصوصية نخبوية فحسب، بل مساحة اجتماعية تتيح تبادل الأدوار بين الطبقات المختلفة، مما يجعل مراسم الشاي أحد أكثر الفنادق تجسيداً لتحوّلات القيم داخل المجتمع الموروماتشي(Varley, 2000, pp. 87–94) .

شكل (7)

المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النضري:

1. تُعد حقبة موروماتشي (1338–1573) من أهم المراحل التحولية في التاريخ الياباني، لما شهدته من تغيّرات سياسية واجتماعية عميقة انعكست في مختلف مجالات الثقافة والفن.
2. يُعدّ مفهوم النسق الاجتماعي من المفاهيم المركزية في علم الاجتماع، لما ينطوي عليه من قدرة تفسيرية لفهم انتظام المجتمع، واستمرار بنيته، وآليات إنتاج المعنى داخله.

3. في النصف الثاني من القرن العشرين انتقل الاهتمام من البنية إلى المعنى، ومن الوظيفة إلى الرمز للنسق الاجتماعي.
4. شهدت حقبة موروماتشي تداخلاً واضحاً بين التفكك السياسي من جهة، وازدهار ثقافي وفني عميق من جهة أخرى.
5. على المستوى الاجتماعي تم إعادة تشكيل الهرم الطبقي الاجتماعي لحقبة موروماتشي فإلى جانب طبقة الساموراي(المحاربين)، بدأت طبقة التجار والحرفيين في المدن بالنمو، مستفيدة من توسّع النشاط التجاري الداخلي والخارجي ولا سيما مع الصين.
6. تطوّرت طقوس الشاي في حقبة موروماتشي (chanoyu)من تفاعل تعاليم الزِنّ مع الحياة اليومية الاجتماعية.

الفصل الثالث: إجراءات البحث

اولا: مجتمع البحث:

اطلعت الباحثة على ما توفر لهما من الأعمال الفنية، التي تعود للرسم الياباني لحقبة موروماتشي (1338–1573)، وجمعها من المصادر، التي لها علاقة كالكتب وشبكة الانترنيت، وقد تحدد إطار مجتمع البحث ب (30) عملا فنيا.

ثانيا: عينة البحث:

قامت الباحثة باختيار عينة البحث إذ بلغ عددها (3) نماذج وتم اختيارها بصورة قصدية وضمن حدود البحث وتمت عملية الاختيار وفق المسوغات التالية:

1. تمثل هذه العينة ذات أهمية تاريخية واجتماعية للرسوم في حقبة موروماتشي.
2. ثراء الرموز والدلالات للعينة المختارة حيثتحتوي هذه الرسوم على رموز وفعاليات اجتماعية غنية يمكن تحليلها للكشف عن النسق الاجتماعي ودوره في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمع في حقبة موروماتشي.

ثالثا: أداة البحث:

اعتمدت الباحثة على المؤشرات التي استخرجها من الإطار النظري، كأداة للبحث والتحليل بما يتلاءم مع هدف البحث.

رابعا: منهج البحث:

اتبعت الباحثة (المنهج الوصفي التحليلي) في تحليل نماذج عينة البحث

خامساً: تحليل نماذج العينة:

انموذج (1)

اسم الفنان: غير معروف

اسم العمل الفني: ساموراي موروماتشي

الخامة: ألوان على ورق (لفافة مخطوطة)

القياس: الطول 1146.3

الإجمالي × 31.0 سم

تاريخ العمل: فترة موروماتشي (1538م)

العائدية: (متحف غيميه) فرنسا

التحليل:

تجسد هذه اللوحة النسق الاجتماعي الصارم والمحتدم لعصر (موروماتشي) من خلال التركيز على (الطبقة العسكرية) (الساموراي) التي هيمنت على المشهد السياسي والاجتماعي آنذاك، حيث تظهر اللوحة هيكلية هرمية دقيقة تبدأ من القادة الفرسان

المعتلين لصهوات الجياد بملابسهم الحربية الثقيلة والملونة (Yoroi) التي تعكس مكانتهم الرفيعة وقوتهم المادية، وصولاً إلى المشاة والمرافقين الذين يهرولون بجانبهم بملابس أخف وأبسط، مما يوثق الانقسام الطبقي داخل المؤسسة العسكرية نفسها. ويعكس هذا التكوين البصري المزدحم (ثقافة الحرب) (Bushido) التي نضجت في هذا العصر، حيث لم تكن المعركة مجرد صراع مادي بل مسرحاً لاستعراض الشرف العائلي والولاء لـ (الشوغون)، ويظهر ذلك في الاهتمام بتفاصيل الأسلحة من سيوف وأقواس وزخارف الخيول التي كانت تُعد رموزاً للجاه الاجتماعي أكثر من كونها مجرد أدوات قتالية. كما تبرز اللوحة فلسفة (الحركة والاضطراب) التي ميزت عصر موروماتشي، إذ ينساب النسق الاجتماعي في خطوط أفقية توحي بالاندفاع الجماعي نحو هدف مشترك، مما يعزز فكرة (الجماعة المحاربة) التي تذوب فيها الفردية لصالح الكيان العسكري، مع الحفاظ على تمييز القادة بوضوح من خلال حجم الخيول وتفاصيل الدروع المعقدة. وتوظف اللوحة أسلوب السرد البصري المتسلسل الذي يربط بين نبل الفرسان وحيوية الخدم، مشيرةً إلى مجتمع يعيش حالة تأهب دائمة، حيث تتحدد قيمة الفرد فيه بقدرته القتالية وولائه، وهي القيم التي شكلت العمود الفقري للهوية اليابانية في ذلك القرن؛ وبذلك تتحول اللوحة من مجرد تسجيل لمشهد حربي إلى (خارطة اجتماعية) ترصد تغلغل الروح العسكرية في كافة تفاصيل الحياة اليومية، مؤكدةً أن الجمال في عصر موروماتشي كان يقترن بالقوة، وأن التراتبية الاجتماعية هي الضامن الوحيد للاستقرار في ظل الفوضى السياسية التي ميزت تلك الحقبة التاريخية.

انموذج (2)

اسم الفنان: غير معروف

اسم العمل الفني: حفل شاي بمناسبة زفاف قردين

الخامة: حبر ملون على ورق (لفافة مخطوطة)

القياس: 1329.40 الطول الإجمالي × 30.90 سم

تاريخ العمل: حقبة موروماتشي (1535م)

العائدية: المتحف البريطاني

التحليل:

تمثل هذه اللوحة النسق الاجتماعي المعقد لعصر (موروماتشي) الياباني من خلال استعارة فنية ذكية تعتمد على (التجسيد الحيواني)، حيث تُسقط الأدوار البشرية على مجتمع من القردة لمحاكة الواقع الطبقي واليومي آنذاك؛ ويظهر ذلك بوضوح في التقسيم الوظيفي للمساحات داخل المبنى المصمم بتقنية (السطح المزال)، إذ تنفصل طبقة النخبة والمثقفين المنشغلين بالقراءة والكتابة في غرفهم الرسمية بملابسهم الفاخرة، عن طبقة العمال والخدم المنهمكين في أعمال الطبخ والضيافة في الأجنحة الجانبية، مما يعكس صرامة التراتبية الاجتماعية اليابانية. كما تبرز اللوحة أهمية الطقوس الاجتماعية مثل تحضير الشاي والالتزام ببروتوكولات الجلوس، وهي عناصر كانت تُشكل جوهر الحياة السياسية والاجتماعية للساموراي (المحاربين) والنبلاء، بينما يضفي استخدام حيوانات القردة صبغة من السخرية الفلسفية التي تنقد التكلف البشري والمظاهر الرسمية، لتدمج اللوحة في نهاية المطاف بين النظام الاجتماعي الصارم

وبين الجماليات الطبيعية المتمثلة في الأشجار المزهرة، مؤكدةً على تلاحم المجتمع– بكل رتبة ووظائفه– مع المحيط الطبيعي في تناغم بصري وسردي فريد.

انموذج (3)

اسم الفنان: تاكاشيناتاكاكاني

اسم العمل الفني: بناء معبد إيشيامااديرا

الخامة: حبر ملون على ورق (لفافة مخطوطة)

القياس: 24.5 الطول الإجمالي × 14.6 سم

تاريخ العمل: حقبة موروماتشي (1423م)

العائدية: معبد إيشياما–ديرا اليابان

التحليل:

تُبرز هذه اللوحة حيوية النسق الاجتماعي في حقبة (موروماتشي) من خلال مشهد احتشادي يوثق التفاعل بين مختلف طبقات المجتمع الياباني، والتي ترصد الحراك اليومي والبناء الطبقي ويظهر هذا النسق بوضوح في التباين البصري بين الشخصيات، إذ نرى في يمين اللوحة طبقة النبلاء والرهبان بملابسهم الطويلة والداكنة التي ترمز للوقار والسلطة الروحية والإدارية، في مقابل طبقة العمال والحرفيين (الكومين) الذين يظهرون بملابس بسيطة ومكشوفة تعكس مشقة العمل البدني، وهو ما يجسد بنية المجتمع الإقطاعي التي كانت تعتمد على تكامل المهام بين النخبة المخططة والعامة المنفذة. وتُعد اللوحة وثيقة تاريخية لنمو الاقتصاد والنشاط العمراني في ذلك العصر، حيث يبرز استخدام العربات التي تجرها الثيران لنقل الأخشاب ومعدات البناء الكبيرة (مثل الجرس البرونزي الضخم في المركز)، مما يشير إلى ازدهار بناء المعابد

والقصور التي كانت تمثل مراكز القوة الاجتماعية؛ كما توظف اللوحة تقنيات المنظور الجوي لتوزيع الشخصيات في فضاء مفتوح يجمع بين الطبيعة الخضراء والبيئة العمرانية، مما يعكس فلسفة التناغم بين النشاط الإنساني والكون. ويظهر التفاعل الاجتماعي هنا في أبهى صوره من خلال لغة الجسد، حيث نرى إشارات الأيدي والحوارات الجانبية والجهد الجماعي في دفع العربات، مما يوحي بمجتمع (موروماتشي) كخلية نحل منظمة، يسود فيها منطق الجماعة على الفرد، وتتحدد فيها هوية الإنسان من خلال انتمائه لمهنته ومكانته داخل هذا الهيكل الهرمي الصارم، مع الحفاظ على روح الحيوية والواقعية التي ميزت هذا العصر الفني عن العصور التي سبقته.

الفصل الرابع: النتائج ومناقشتها

أولاً : النتائج: تمكنت الباحثة من استخلاص النتائج التي تتعلّق بطبيعة النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي اليابانية، وكما يلي:

1. يتمثل النسق الاجتماعي في أعلى مستويات (العسكرة) في الرسم الياباني في حقبة موروماتشي، من خلال تصدر الفرسان المشهد كطبقة عليا تقود المجتمع، بينما يتبعهم المشاة والخدم في تراتبية حربية صارمة تحدد هوية الفرد بناءً على ولائه القتالي وكما ظهر في انموذج العينة (1).
2. يظهر تمثل النسق الاجتماعي في الرسم الياباني لحقبة موروماتشي من خلال لغة الدروع والألوان، إذ يُستخدم التعقيد الزخرفي وحجم الخيل كأدوات بصرية لتمييز القادة عن التابعين، مما يجعل المكانة الاجتماعية مرئية ومقدسة في آن واحد وكما ظهر في انموذج العينة (1).
3. يظهر تمثل النسق الاجتماعي في الرسم الياباني لحقبة موروماتشي من خلال النمذجة الحيوانية التي تعكس انقسام المجتمع إلى طبقة مفكرة

(تجلس بوقار وتكتب) وطبقة خادمة (تتحرك وتطبخ)، مما يؤكد رسوخ مفهوم الطبقية في الوعي الجمعي. وكما ظهر في انموذج العينة (2).

4. النسق الاجتماعي في رسوم ديانة الزن اليابانية يوظّف رموزًا طبيعية وكونية كثيفة الدلالة – كالتنين والنمر – ليس فقط كزينة، بل كأدوات فلسفية تمثل قوى متضادة (الين واليانغ، الروح والمادة، السماء والأرض). هذه الرمزية تُبرز عمق الفكر البوذي في فهم العالم من خلال وحدة الأضداد، وتُحوّل العمل الفني إلى وسيلة للتعليم الصامت والتأمل في الحقيقة الكبرى وكما ظهر في انموذج العينة (2).
5. يبرز تمثل النسق الاجتماعي كمنظومة – في رسوم حقبة موروماتشي – قابلة للنقد الساخر، حيث استخدم الفنان القردة لتمثيل الادعاء الطبقي، مشيراً إلى أن المظاهر الرسمية والبروتوكولات قد تكون مجرد قشور خارجية وكما ظهر في انموذج العينة (2).
6. يتجلى النسق الاجتماعي في (التكامل) وليس الانفصال فقط؛ حيث تجتمع النخبة الدينية والسياسية مع العامة في فضاء واحد لتحقيق إنجاز عمراني، مما يمثل تماسك البنية الاجتماعية خلف الأهداف الكبرى، وكما ظهر في انموذج العينة (3).

ثانياً : استنتاجات البحث:

1. ارتبطت الوظيفية الجماعية في اللوحات (مثل مشاهد بناء المعابد ونقل الأجراس) برغبة الحاكم العسكري(الشوغون) وعشائر الساموراي في توثيق إنجازاتهم؛ فالرسم هنا لم يكن للجمال فقط، بل كان وسيلة لإثبات قدرة السلطة على قيادة المجتمع وتوحيد فئاته خلف مشاريع عمرانية ضخمة.

2. أن النسق الاجتماعي في رسوم حقبة موروماتشي، لم يكن مجرد زخرفة جمالية، بل خطابًا فلسفيًا وروحيًا عميقًا يُعيد صياغة العلاقة بين الإنسان، والمقدّس، والفن.
3. ارتبط نقد التكلف الطبقي (كما في لوحة القردة) بتأثير بوذية (الزن) التي سادت في عصر موروماتشي، والتي تدعو للزهد والجوهر؛ لذا استخدم الرسامون "التجسيد الحيواني" وخطوط الحبر البسيطة لإظهار أن المظاهر الطبقية المعقدة هي مجرد انعكاسات زائفة للحقيقة، مما خلق توازناً فنياً بين الصرامة العسكرية والعمق الروحي.
4. انعكس ثبات الهيكلية الطبقية في استخدام تقنية (السطح المزال) التي سمحت للفنان بتوزيع الشخوص في غرف ومستويات تعكس رتبهم الاجتماعية بدقة بصريّة، حيث يُحدد المنظور الجوي مكانة الفرد بناءً على ارتفاعه أو مركزيته في اللوحة.
5. ممارسة الأنشطة الموسمية والاحتفالات ضمن بيئة اجتماعية متنوعة تظهر كيف تم استثمار الثروة في دعم تقاليد ثقافية ذات قيمة رمزية، مما يوضح أن الجانب الاقتصادي خلال حقبة (موروماتشي) كان متصلاً مباشرة بالحفاظ على نمط حياة الأرستقراطية والممارسات الثقافية المرتبطة بها.

ثالثاً : توصيات البحث:

في ضوء النتائج التي تكونت من هذه الدراسة توصي الباحثة بما يأتي:

1. تعزيز الأبحاث التي تدمج بين تاريخ الفن، وعلم الاجتماع المعاصر، لفهم عمق الرمزية في الرسم الياباني.
2. دعم مشاريع رقمية لترجمة وأرشفة وتحليل المخطوطات المصورة اليابانية، وربطها بالسياقات الفكرية التي أنتجتها.

3. إدراج أعمال رسم الفن الياباني ضمن مناهج الدراسات العليا وعدم حصرها في خانة تاريخ الفن فقط.

رابعاً : مقترحات البحث:

استكمالا لمتطلبات البحث الحالي، ولتحقيق الفائدة تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية:

1. تمثلات الخطاب الجمالي للوابي سابي في الرسم الياباني لحقبة موروماتشي
2. الخطاب الديني في الرسم الياباني خلال حقبة ايدو(1603-1868م)

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

1. ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء مقاييس اللغة، دار صادر، مج 5، ١٩٩٩، بيروت.
2. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، مجلد ١٤، مادة نسق.
3. بطرس البستاني: محيط المحيط ٩١ ج ٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.
4. سابورو، اينياغا: تاريخ الثقافة اليابانية، ت: علاء علي زين العابدين، مر: أحمد محمد فتحي، القاهرة ,2016.
5. على ليلة: النظرية الاجتماعية الحديثة الأنساق الكلاسيكية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٤م.
6. على ليلة: النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع الكتاب الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٥م.
7. الفيروز أبادي: القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، بيروت، طه، ج ٣ مادة نسق ٢٠٠٥م.

8. يوتاكاتازوا: التاريخ الثقافي لليابان، وزارة الخارجية، اليابان،1987.

المصادر باللغة لالنكليزية:

9. Alexander, J.: The Meanings of Social Life. Oxford: Oxford University Press,2003.
10. Bourdieu, P.: Language and Symbolic Power. Cambridge: Harvard University Press,1991.
11. Encyclopaedia Britannica. “Muromachi Period.”
12. Geertz, C.: The Interpretation of Cultures. New York: Basic Books,1973.
13. Hall, J. W. Japan: From Prehistory to Modern Times. University of Michigan Press,1991.
14. John W. Hall & Toyoda Takeshi: Japan in the Muromachi Age, University of California Press, Berkeley and Los Angeles, California, London, England,Usa,1977.
15. Keene, D.: Seeds in the Heart: Japanese Literature from Earliest Times to the Late Sixteenth Century. Columbia University Press,1999.
16. Mitchell, W. J. T.: Iconology: Image, Text, Ideology. Chicago: University of Chicago Pressm1986.
17. Panofsky, E.: Meaning in the Visual Arts. Chicago: University of Chicago Press,1955.
18. Parsons, T.: The Social System. New York: Free Press, 1951.
19. Sansom, G.: A History of Japan, 1334–1615. Stanford University Press,1961.
20. Sudipta Das: Japan and Buddhism,International Journal of Research and Analytical Reviews, Volume 7,2020.
21. Varley, H. P.: Japanese Culture. University of Hawai‘i Press,2000.

مواقع الانترنت:

22. https://en.wikipedia.org/wiki/N%C5%8Dami
23. http://jmapps.ne.jp/okayamakenbi/index.html